أسماء الفرسان الثلاثة(١)

أصبحت هذا الأسبوع جَدّاً للمرة الثالثة عندما رُزق ابني فارس وزوجته فاتن وليدهما البكر.. سلمان.

وشاء فضل الله - وما أعظم فضله سبحانه - أن أشهد احتفالين في أسبوع واحد: إطلالة الحفيد سلمان .. ووصول الحفيد فهد إلى عامه السادس. .

أما الحفيد غازي فقد «ضاع في الطوشة» . . فلا هو أطل لتوه، ولا هو - في الثالثة والنصف - وصل إلى ذكرى ميلاده. .

أوّاه! كيف مرت السنوات؟ أصبح فهد في السادسة . . وكأنه وُلِدَ البارحة . . لا أزال أذكر يارا تحمله بين ذراعيها . . طفلتي تحمل طفلها وزوجها فواز يقف بجانبها . . والقصيدة تولد:

«أقول لفهد حين طالعني فهدُ

أتجعلني جَدّاً؟ فداء لك الجد!»

(١) عن «استراحة الخميس» المنشورة في الوطن (١٩٩٩م).

أقول بعتاب مليء بالمحبة:

«أتجعلني جَدّاً»؟!

وأتذكر يوم ولادة الفارس الثاني غازي . . كانت لتسميته قصة طريفة .. أرويها . . للعظة . . وللعبرة ..

تعرف ابنتي وأولادي تمام المعرفة أني أكره أن أُسَمِّي وليداً باسم قريب راحل (أو مقيم!) . . مهما كان القريب عزيزاً . . وغالياً . .

رزقني الله ولدين بعد وفاة سيدي الوالد - رحمة الله عليه - ورفضت أن أسمي أياً منهما عبدالرحمن..

لماذا؟

لا أريد أن يكون هناك سوى عبد الرحمن واحد!..

أبي .. وسيدي .. وصديقي .. وحبيبي ..

ولا أريد أن يثير الاسم الشجن . .

أن يسمع الناس اسم الوليد فيتذكروا الفقيد ..

والأهم من هذا كله أني لا أحب أن ينمو إنسان في ظل إنسان آخر..

ولا أود أن تكون هناك مقارنة . .

وقد قلت في مكان آخر أن كل المقارنات قاتلة . . بمعنى أو بآخر. لا أود أن يقول أحد لعبدالرحمن الصغير:

- لماذا لا تكون مثل عبدالرحمن الكبير؟!

. . وهيهات!

.. هيهات!

«إن الزمان بمثله لبخيل» . .

من هذه المنطلقات الفلسفية، الغريبة على تقاليدنا بعض الشيء، حذّرت ابنتي وأولادي من تسمية أحد باسمي.. في حياتي .. أو بعد رحيلي ..

قلت: إني في حياتي سوف أرفض بشدة ..

بعد رحيلي سوف يجيء شبحي لإرهاب الذين خالفوا «التوجيه»!!

إلا أن يارا وفواز كان لهما رأي آخر..

سميا وليدهما البكر فهد . . تيمّنا بجدّه . . أخي فهد .. ولم تكن هناك أي مشكلة . . سرٌّ فهد الكبير باسم فهد الصغير . .

كانت المشكلة مع الوليد الثاني ..

ومعي ..

كان فواز ويارا يعرفان تمام المعرفة موقفي من تسمية أي حفيد باسمي. .

ومع ذلك قرّرا تسمية الوليد القادم باسمي . .

وأحكما الخطة ..

وتكتكا بدهاء لم أعهده في أي منهما . . واستعانا على قضاء أمرهما بالكتمان المطلق .. وبعلم النفس .. وبشيء من المكر غير قليل ..

جاءت يارا (وبراءة الأطفال في عينيها) تطلب مني أن أختار اسماً للوليد المقبل الذي لم يولد بعد وإن كانت المعدات الطبية الحديثة قد بيّنت أنه ذكر ..

obeikandl.com

وغـصتُ في أعـمـاق «مـعـجم السلطان قـابوس للأسماء العربية» . .

وهنا لابد أن أتوقف لأوجه تحيـة شكر وتقـدير إلى جلالة السلطان قابوس على تبنّيه هذا العمل الموسوعي العظيم..

ولأنصح كل قارئ وقارئة باقتنائه.

حصلت على اسم بعد اسم ..وكنت أقدم ليـارا وفواز قائمة يومية . .

يومية!!

تصوروا !!

ويجيء فواز (وبراءة الأطفال في عينيه) ويقول:

– عـمّي ! هل من الممكن أن تبـحث لنـا عن أسـمـاء جديدة؟!

يا غافل لك الله!

أعود إلـى أعمـاق الذاكرة وأعـمـاق المعجم وأعـمـاق

obeikandl.com

الدواوين مصطحباً معي أسماء جديدة في قوائم جديدة..

وتجيء يارا:

- بابا! هل من الممكن أن نزعجك من جديد؟ لم تعجبنا الأسماء .. نريد أسماء أخرى . .

أعود إلى الغوص من جديد...

حتى أصبت بالصداع. .

وبالزغللة..

وبعد شهر كامل من التنقيب والاستشعار عن قرب وعن بعد أعلنت الإضراب .. وعندها قال فواز ويارا بصوت واحد:

- سيف !

قلت:

- ماذا ؟

قالا:

obeikandl.com

- قررنا أن نسمي الوليد «سيف» . .

واعترتني حالة من الوجوم الشديد..

سيف ! !

قالت يارا:

- ألا يعجبك اسم سيف؟

قلت:

- اسم عربي جميل ..

واستمر الوجوم..

قال فواز:

- ألا يعجبك اسم سيف؟

قلت:

- شخصيتي الأسطورية المفضلة هي «سيف بن ذي يزن»..

وكتمت غيظي .. و«بوّزت».. أو على حد تعبير يوسف الشيراوي «برطمت». . ولم أقل شيئاً ..

obeikandl.com

ما دام هناك قرار قد اتخذ باسم سيف فلماذا قضيت شهراً كاملاً أنقّب عن الاسم كما تنقب الشركات متعددة الجنسيات عن البترول؟!

سيف .. سيف!

«ولدكم .. وسموه»..

ما دخلي أنا؟

أنا مجرد جَدٍّ تطوع للمساعدة. .

وكان «سيف» جزءاً لا يتجزأ من الخطة الماكرة..

حان حين الولادة ..

وكالعادة .. أصابتني حالة من العصبية الكاملة الشاملة ..

ذهبت إلى المكتب ..

وكدت أشرب الحبر..

وأكتب بالشاي..

وغادرت المكتب إلى المستشفى وهناك أصيب كل من حولي بعدوى العصبية..

obeikandi.com

حتى الأطباء والممرضات!

وقالت زوجتي بدبلوماسيتها النادرة:

- لماذا لا تتـــركنا بســـلام وتذهب إلى المنزل؟ سنخبرك بمجرد الولادة..

وذهبت إلى المنزل ..

وأخذت أروح وأجيء..

كالدجاجة الشهيرة التي توشك أن تبيض..

ورن التليفون..

وجاء صوت فواز:

- عمّي!

- خير؟

- أبشرك كل شيء يسير على ما يرام..

- هل تمت الولادة؟

- عن قريب! عن قريب! ولكن كل شيء بخير ..

obeikandi.com

مكالمة عجيبة بعض الشيء!

وبعد دقائق جاءت المكالمة الثانية. وكان فواز على الخط الآخر يطمئنني أن كل شيء بخير.. وأن الولادة سوف تتم في أي دقيقة..

مكالمة عجيبة بعض الشيء!

وجاءت المكالمة الثالثة بالأخبار نفسها:

- كل شيء على ما يرام .. والولادة في أي لحظة.

لماذا يطمئنني فواز كل خمس دقائق إذا لم يكن هناك ما يوجب القلق؟!

وانتابني ما يشبه الانهيار العصبي ..

كان كل هذا جزءًا من الخطة الماكرة..

وجاءت المكالمة الرابعة من فواز:

-عمّي!

- خير؟!

- هناك رجاء حار من يارا .. ومني ..

- هل ولَدَتْ يارا؟

- هناك رجاء حار من يارا .. ومني ..

-خير ؟!

- نريد منك شيئاً..

- هلَ ولدَتْ يارا؟

- نريد منك شيئاً..

- حاضر! حاضر ! هل ولدت يارا؟

- على وشك! على وشك! ولكنها ترجوك بحرارة ..

- حاضر! حاضر! هل ولدت يارا؟

- على وشك! على وشك! ماذا عن الرجاء؟

- أي رجاء؟!

- نرجوك رجاءً خاصاً!

- هل وَلَدت يارا؟

- على وشك! على وشك! ماذا عن الرجاء؟

obeikandl.com

- أي رجاء؟

- نودّ تسمية المولود غازي.

نقلت للقراء والقارئات المكالمة بنصّها ليتبينوا الحالة النفسية التي كنت فيها..

قلت:

- سموه «ثعلباً» أو «خنفسانة» أو «وزغة» .. المهم أن تلد بالسلامة.

قال فواز الذي لم تعجبه الأسماء الثلاثة:

- نريد أن نسميه غازي. هل يمكن أن نسميه غازي؟

قلت: - سمّوه غازي ... أو حتّى سيف !!

لم تتضح لي الخطة الماكرة بكل تفاصيلها إلا بعد أن كلمني فواز بعدها بثلاث دقائق (فقط) وقال:

- عمي! مبروك وُلد غازي ..

قلت:

- الحمد لله على السلامة .. ماذا قلت عن غازي؟!

وكان فواز قد أقفل السماعة..

هل رأيتم .. أيها القرّاء والقارئات - أخبث من فواز .. وزوجته..

وهذا الاستغلال البشع لحالة الجد النفسية المنهارة؟!

.. غازي .. غازي!

« ولدكم .. وسموه!»

وكان ذنبهم على جنبهم..

وجاء غازي شقياً ..

مشاغباً..

يوجّه معظم شقاوته وشغبه إلى «سَمِيِّه» . - .

قال لي ونحن في السيارة ذات يوم:

- جدُّو! أنت «دبة» ..!

قلت:

- صدقت.. ولكن إياك أن تسمعك ماما..

ذات يوم .. قال لي فهد:

- جدو! أنت «فات»!

وعاقبته يارا.. بدون وجه حق..

«فات» .. ونص!

«دبة». . ونص!

ولكننا نلقّن الأطفال الصغار الرياء.. والنفاق .. والمجاملة .. والكذب .. وغازي الصغير لم يتعلم بعد..

وراقه الاسم الجديد:

- جدُّو! أنت «دبة» !

قلت له بمنطق الأطفال

- أنا غازي وأنا «دبة» .. وأنت غازي وسوف تصبح «دبة» عندما تكبر ..!

obeikandl.com

وصمت غازي يفكر في هذا المستقبل المرعب الذي لم يخطر بباله من قبل !!.

ما علينا..

حديثنا الآن عن الأسماء..

يوم كانت زوجتي حاملاً بفارس لم تكن المعدات الطبية تستطيع أن تتوقع جنس الجنين..

كنا مستعدين بأسماء ذكور وأسماء إناث..

قلت:

- إذا جاء ولد فسوف نسميه فراس..

وقالت زوجتي:

- لا.. نسميه فارس

- فراس.. فارس

- فارس .. فراس

استمر السجال شهوراً..

obeikandl.com

ثم أطل الوليد .. مع مطلع الفجر..

قالت زوجتي:

- غيرت رأيي.. فلنسمه فراس.

قلت - وأنا أشهد المرأة التي خرجت لتوها من أعظم المعارك إيلاماً وأعظمها سعادة:

- لا! لا سوف نسميه فارس.

قالت زوجتي:

- فراس!

وسميناه فارس..

فيما بعد .. قال لي فارس إنه يفضّل اسم فارس على اسم فراس.. مراراً.. الحمد لله!

لا شيء يزعج الطفل أكثر من اسم لا يحبه..

ولا الرجل!

ودارت دورة الأيام.. والأعوام..

obeikandl.com

وكبر فارس .. وتزوج..

وجاء دوره .. وأثبتت المعدات الطبية أن الوليد القادم ذكر..

هذه المرة كنت مستعداً..

أعلنت أني لا أعرف أي أسماء..

ولن أبحث في أعماق الذاكرة..

ولن أنقّب في القواميس..

وقلت:

-ولدكم أنتم .. وسموه أنتم.

قال فارس:

- فؤاد

(ولا أدري هل لهذا الاختيار علاقة بفؤاد الطارف أحد أبطال «شقة الحرية» - لم أسأل أنا ولم يتطوع فارس بإخباري).

obeikandl.com

وقالت زوجته فاتن:

- سلمان

ووقفت على الحياد الإيجابي (الذي يذكره المخضرمون من القراء)..

وكرر التاريخ نفسه.

بعد الولادة قالت فاتن:

- غيَرتُ رأيي .. سوف نسميه فؤاد..

وقال فارس:

- لا. غيرتُ رأيي .. سوف نسميه سلمان.

ما أشبه الليلة بالبارحة!

قلت:

- القرعة!

ووافق فارس .. ووافقت فاتن..

وأحضرت ورقتين..

كتبت على واحدة «ف»..

obeikandl.com

وكتبت على الأخرى «س»

وطلبت من فاتن أن تسحب واحدة.

وفتحناها ..

«س»

سلمان!

حفظ الله الفرسان الثلاثة..

فهد .. وغازي .. وسلمان..

والحمد لله .. القائل في محكم كتابه:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾.

آمنا بالله..

والحمد لله حمداً كثيراً..

من قبل.. ومن بعد..

obeikandl.com